مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 17 العدد: 02 السنة 2025 ص 643 - 663

تاريخ الإرسال: 2024/07/06 تاريخ القبول: 2025/05/25
تاريخ النشر: 2025/11/30

# تجليات النسق المضمر في الشعر العربي التشادي

# The manifestations of the implicite pattern in Chadian Arabic poetry

ط.د نوال حنتوت[1] ؛ د.أ مليكة دحامنية[2]
جامعة بومرداس (الجزائر) [1]n.hantout@univ-boumerdes.dz
جامعة بومرداس (الجزائر)[2]m.dehamnia@univ-boumerdes.dz

**الملخص:**

تهدف هذه الدراسة النقدية إلى الكشف عن النسق المضمر، الممرر عبر العباءة الشعرية، وتركز المنهجية المستخدمة على: نسق الطلل من منطلق اعتبار أنه الوقفة التخيلية النفسية، ونسق الهوية الذي يبرز من خلال التنديد بالوحدة الإفريقية، ونسق الهامش واستنكاره لعنصر الهيمنة الثقافية. لذلك سعى هذا البحث إلى المقاربة الثقافية التي تنزع الستار عن عوالم الحقيقة، التي يريد الشاعر معالجتها بواسطة ثقافة الإضمار والإخفاء.

**الكلمات المفتاحية:** شعر؛ تشاد؛ نسق؛ الهوية؛ الهامش.

**Abstract:**

This critical study aims to reveal the implicit pattern, which is passed through the poetic mantle, and the method used focuses on: the pattern of the descent from the point of view of the psychological imaginary pause, the pattern of identity that emerges through the condemnation of African unity, and the pattern of the margin and its denunciation of the element of

cultural hegemony. Therefore, this research sought the cultural approach that unveils the realms of truth, which the poet wants to address through the culture of concealment and concealment.
**Keywords** : Poetry; Chad; Layout ; Identity ; Margin**.**

المؤلف المرسل: نوال حنتوت، N.HANTOUT@UNIV-BOUMERDES.DZ

**1.مقدمة:**

يتواصل الشعر العربي برحلته الشعورية الوجدانية، راسما معالم القضايا الواقعية وتنوع مواضيعها التي هي عبارة عن وسائل يعاد تطويعها، وصقلها بما يتناسب والقريحة الشاعرة وأسلوبها وشاعريتها الأدبية الفنية، ليعاد إخراجها إلى الجمهور القارئ بثوبها الشاعري الأدبي الذي يحاكي في رحلته الإبداعية الأرضية التشادية، ويجلب بذلك القارئ إلى التناغم بأصداء التجربة الشعورية، والخيالات الفنية والتي تكون سيدة موقفها اللغة العربية؛ بحكم أنها الوسيلة الفعالة في إثراء مسامع القارئ بما جادت به القريحة التشادية، وما أبرزته عبرها من قضايا هادفة إلى تصوير الواقع.

وتتلخص مجموع الأسئلة في جمل استفهامية مفادها: فيما تتجلى قضايا الشعر التشادي وأهدافه الممررة عبر أنساق ثقافية واجتماعية مضمرة؟ ثم ما هي مجموع العبر والمرامي التي يسعى الشعر التشادي الوصول إليها وتحقيقها عبر قضايا الأنساق الثقافية؟ وكيف لعبت اللغة العربية الدور في إجادة القريحة الشاعرية التشادية، وتفعيل الجانب الشعري الإبداعي في محاكاة واقعها ووجودها؟

وعن هدف الدراسة يمكننا القول إن: الواقعة الشعرية إنما؛ هي في مجملها صورة انعكاسية للبيئة التي مكنت فيها الروح الإبداعية، بطرقها المختلفة وسواء أكانت هذه الطرائق سلبية على الذات الشاعرة أو إيجابية فإن الواقعة الشعرية هي

ثمرة من ثمرات التخيل الإبداعي الفكري والوجداني، الذي يخلد وقائع الزمن وفلسفة الوجود الحياتي للإنسان.

أما عن منهج الدراسة في هذا البحث فتمثل في: المنهج الثقافي الذي يبحث عن مجموع القضايا الممررة عبر أنساق لغوية متعددة بغية الكشف عن القضايا الجوهرية التي يحملها الشعر التشادي في جعبته الوجدانية، وإحداث الفارق بين الفكرة ومبناها، ودرجة التأثر العاطفي الوجداني بها لدى الشاعر، ثم الاستفسار عن المنظور الشاعري الذي يتلخص في الرؤية الواقعية التي تصبغها الصورة الفنية لدى الشاعر، وما درجة فنيته الإبداعية في تصوير الواقع، وتجسيد صورة للثقافة؛ التي يحاول الشاعر من أن يبثها في فكر القارئ، وتبيان درجة محاولته الفكرية في إزاحة النمط المركزي، المروج له عن طريق الهيمنة الثقافية وإحلال النمط الهامشي والصعود به إلى دائرة الهامش المركزي، ومن تم التمركز على عرش المركز "المكان الأصلي"، الذي يراه الشاعر أنه من حق كل فرد يمتلك أرضا كان له معها مسيرة رسم لفلسفة الوجود والحياة، وبناء واقع التعايش داخلها.

**2. الإطار المفاهيمي للنقد الثقافي:**

فتحت الدراسة الثقافية أبوابها الجديدة وأبدت توجهها المكثف، حول ما يسمى بالدراسة الفاحصة التي تبحث في الأغوار الكامنة وراء كل نص جمالي سطحيته المتعة، وعمقه كشف قضايا من صلب المجتمع.

من هذا المنطلق عُدَّ الأدب "ظاهرة ثقافية من أبرز الظواهر التي تؤدي دورا بالغ الأهمية في توثيق الظروف الاجتماعية والتاريخية، وفي إثراء العقل والروح وفي القيام بدور أخلاقي وسياسي في المجتمع"[1] بوصفه ملاذ القراء في تحصيل المعرفة والاكتشاف والاحتكاك بمجموع الثقافات المجسدة وراء العبارات والجمل المركبة، في شكل أنساق تحمل المضمر الذي يخالف الظاهر في العديد من التوجهات.

وعليه كان لا بد للنقد الثقافي أن يتخذ عدة إجراءات وآليات، هي غير تلك الإجراءات التي عرفها نقد الحداثة وما بعد الحداثة، وبات على النقد الثقافي أن يوجه نظرته التقنية إلى النظر في آليات العمل الإبداعي بنظرة متعالية، وبنظرة كاشفة لمجموع الجماليات التي صنعتها اللغة، وبالتالي كانت فكرة النسق الثقافي وإبراز وظيفته من أبرز المهمات الأساسية التي يتمركز عليها هذا النوع الجديد من النقد.

**1.2 في مفهوم النقد الثقافي:**

لعبت موجة التغير الحاصلة على مستوى النظرية النقدية، تأثيرا كبيرا من ناحية الدراسة والبحث والتطبيق على نصوص الفن الأدبي، التي كان ظهورها مزامنا لفكرة المثاقفة الحاصلة بين الغرب المتقدم على مستوى الساحة النقدية والعرب المترجم لكل الحالات النقدية.

ومن ثمرة الانتقال والتحول الحاصل عند الغرب، كان ظهور ما يسمى بموجة النقد الثقافي والدراسات الثقافية الذي "جاء مباغتا وسط لذة البنيوية ودهشة السرديات، ونظريات التلقي وتحليل الخطاب، وغير ذلك من عناوين هامة في أصولها وبواعثها، لكن تلقينا لها عربيا لم يجاوز في عمومه استقبال الموضات وليست التيارات الأصلية المؤثرة"[2] نتيجة ظاهرة الترجمة وعدم الفهم الواضح لمجموع المرجعيات والخلفيات المترتبة عن نشوء هذه المناهج.

بناء على هذا التعريف يتضح لنا الطرح المفاهيمي لمصطلح النقد الثقافي الذي يعد فيه النسق الثقافي بؤرة التمركز، والتحليل والتأويل باعتباره "نسق ثقافي وتاريخي يتكون عبر البنية الثقافية والحضارية، ويتقن الاختفاء من تحت عباءة النصوص، ويكون له دور سحري في توجيه عقلية الثقافة وذائقتها ورسم مسيرتها الذهنية والجمالية"[3]

من هنا تبرز حدود المفارقة الواضحة بين ماهية النقد الثقافي والأدبي كون أن "النقد الثقافي هو مشروع في نقد الأنساق، وهذا تحول جذري ونوعي يفترق فيه النقد الثقافي عن النقد الأدبي، بما أن هذا الأخير معني بنقد النصوص، وهو بحث في جماليات اللغة وتوظيف للمجاز للكشف عن تلك الجماليات"[4] على غرار النقد الثقافي الذي يتعدى مصطلح النصوصية ليقر بدلا عنها مصطلح النسقية وما تحتويها من عوامل ومؤسسات تبرز مكنوناتها بقوة، ابتداء من المجاز الكلي إلى التورية والدلالة النسقية، وانتهاء بالوظيفة النسقية التي تعد سابع وأهم وظيفة تنتجها اللغة تكون خادمة للمفهوم الثقافي المتخفي.

ويستلهم النقد الثقافي في دراسته التطبيقية من مناهج عديدة، كانت سابقة له في الطرح والتوظيف الأدبي. كما أنه أقام أسسه على أنقاض تلك النظريات التي وقفت عند معالم واضحة الحدود أمام النص الأدبي، وبالتالي كان النقد الثقافي بمثابة بداية نهاية لما سبق من موجات التيارات، والمناهج النصوصية بآلياتها وتقنياتها التي اكتملت من ناحية التحليل لمفاهيم وتقنيات النص الأدبي.

علاوة على ذلك نقول إن: "المميز في النقد الثقافي أنه ليس بمدرسة محددة المعالم بل يمكن أن يتبدل بتبدل شخصية الناقد وثقافته وتوجهاته وطبيعة النص وقضاياه وتيمته، فالنقد الثقافي مفتوح على التأويل وعلى مناهج"[5] متعددة لها علاقة وثيقة بخدمة فكرة النسق المضمر والتجليات النسقية.

ولهذا يُعَدُّ النقد الثقافي أنه ليس بمنهج "أو مذهبا أو نظرية كما أنه ليس فرعا أو مجالا متخصصا بين فروع المعرفة ومجالاتها، بل هو ممارسة وفعالية تتوفر على درس كل ما تنتجه الثقافة من نصوص، سواء أكانت مادية أم فكرية ويعني النص هنا كل ممارسة قولا أو فعلا تولد معنى أو دلالة"[6] لا يتمظهر معناها من خلال النظرة الانطباعية للظاهر الجمالي، ولكن يتجلى المعنى عن طريق النظرة

الاستقرائية للمحتوى الجمالي، وما يتضمنه من مواضيع توثق الحالة الإنسانية بمختلف مستوياتها، وتبرزها عن طريق توظيف قرائن مانعة من إيراد المعنى الحقيقي، وهو الأسلوب الفني المتمكن من تجسيد الفنيات الجمالية التي تميز الأسلوب الخطابي الأدبي عن بقية الأساليب الأخرى، وتخفي حقيقة مجيء النص بطريقة فنية إبداعية يختلف مستوى أسلوبها الفني من كاتب لآخر.

**2.2 في مفهوم النسق الثقافي المضمر:**

بمجيء النقد الثقافي وآلياته الإجرائية، ومن خلال التطبيقات الحاصلة على مستوى الناحية الإبداعية الأدبية تم إعادة النظر "في أسئلة الجمالي وشروطه وأنواع الخطابات التي تمثله، حينها كان لا بد من الاتجاه إلى كشف عيوب الجمالي، والإفصاح عما هو قبحي في الخطاب"[7] وقد كان من نتائج هذا التغيير الإبعاد التام للمفهوم الأكاديمي للأدب الذي كان نقده لا يتعدى النص، بل أصبح الأدب عبارة عن كتلة ثقافية مخزنة المبنى، على اعتبار أن الثقافة في الموروث العربي "تتبع من الذات الإنسانية ولا يغرس فيها من الخارج"[8].

وعليه كان التغيير الحاصل على مستوى الآليات والإجراءات، هادفا إلى تغيير الأداة النقدية بالدرجة الأولى كمصطلح وكنظرية، وذلك عن طريق توجيه الأنظار إلى ممارستها نحو تقمص الأدوار النقدية الثقافية، وإبراز فعاليتها في التحليل والتأويل المنضبط، والمجرب واتخاذ من نفسها وسيلة ناجعة في الابتعاد عن المصطلح الفكري، وتعزيز أنساق الخطاب المضمرة.[9]

ويقصد بالأنساق الثقافية في إطار الدراسة الثقافية أنها "أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق"[10] التي تبدو داخل النص الأدبي؛ متوجسة

متخفية لا تظهر إلى العيان لأن؛ هناك طبقة تغلف عليها وتبرزها في وجهها المعاكس تماما للوجه الأصلي الذي وجدت من أجله.

وبالتالي يغدو النسق "ذو طبيعة سردية، يتحرك في حبكة متقنعة، ولذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائما، ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها(...) قناع الجمالية اللغوية وعبر البلاغة وجمالياتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة الوارفة"[11] ونصطلح علي هذه الأقنعة بالدلالة النسقية، التي نصل إليها عن طريق الطرح الكاشف لمجموع البنيات المتخفية، وراء لعبة الجمالية التي توصف هي الأخرى على أساس من أنها أخطر حيل الثقافة، وبين البلاغة والمجاز والدلالة النسقية الحاملة لوجهين محتملين؛ الأول ظاهري وهمي والآخر ثابت أصلي أزلي، تنشأ الوظيفة النسقية وهي سابع وظيفة تنتجها اللغة داخل إطارها الثقافي.

فاللغة قادرة على أن تتوقف عند الجمالي الشاعري، كما لها القدرة الفائقة في حمل المعبأ الثقافي وكشفه في صورة فنية تنمو فيه الثقافة، وتتغذى من البلاغي والمجازي، حتى تغدو بنية متراصة تعد بمثابة مرجعيات، وخلفيات إيديولوجية فكرية واجتماعية، تعبر عن حالة من حالات المجتمع، يراها الكاتب كنقطة فاصلة، لا بد أن تطرح في شكل قضية تنتظر القارئ، لكي يبدي رأيه فيها ويحدد وجهته وموقفه منها.

وعليه تأتي وجهات النظر الإبداعية والتحليلية التأويلية لهذه القضية وتطرح حينها في أوجه متعددة، تقترح في صورة ثقافية واسعة تنم عن ثقافة القارئ، وتمكنه من مجموعة الحلول التي تتكون نتيجة الدراسة الفاحصة للنص المقروء.

فالنسق من وجهة نظر النقد الكاشف لا يمكن تحديده إلا من خلال و"عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما

ظاهر والآخر مضمر ويكون المضمر ناقصا وناسخا للظاهر"[12] ومنه يتمثل النقد الثقافي عبر النسق الثقافي، الذي يستوجب بدوره أن يتخذ وجهة دلالية، ووظيفة ثقافية يتسنى لإجراءات النقد الثقافي أن تعبر حدود النسق، وتكشف عن غطاء المتخفي الزئبقي الذي يكون ظاهره الوهم والانطباع الأولي للفكرة، يبتعد في معناه عن الرؤية الحقيقية المتخفية للمعنى، والتي توضح الأبعاد النسقية للخطاب.

**3. المقاربة الثقافية للنسق المضمر في الشعر التشادي:**

**1.3 نسق الطلل:**

تنتقل مسيرة الطلل عند الشعراء التشاديون، من العالم المعلن إلى العالم المضمر الزئبقي، الذي يؤكد انتقالية على مستوى مفهوم الطلل في صورته النسقية القديمة المتعارف عليها كتقليد أساس في القصيدة العربية الجاهلية، ومن منطلق افتراضي متمثل؛ في أن نسق الطلل يعد في مجمله "مظهرا للرؤية العربية التي تنطوي بنيتها على السمات الرئيسة لطريقة العربي في معاينة الوجود"[13] بصفة عامة، وطريقة الشاعر التشادي في محاولة الجعل منه قالبا يناسب المحتوى الوجودي الإنساني المعاصر، فالطلل قديما يحاكي الصحراء التي هي "مكان التغيير والغياب، فبهذا المكان تكون المعضلة الوجودية المتمثلة في صراع البقاء ضد الموت"[14] ومن تم كان التفكير الأساس هو الترك والتخلي عن الديار وهو التفكير المختلف في الشعر التشادي حيث إن؛ بكاء الطلل هو بكاء الأزمة وبكاء التدهور التاريخي والحضاري للمنطقة المبكى عليها، إن لم نقل أنه بكاء استغاثة واستنجاد حيث يجعل هذا الموقف بين الشاعر والقارئ في حالة تساوي لوضعية الإحساس بالاغتراب والعبء الثقيل. يظهر ذلك في قول: الشاعر محمود شريف من قصيدته "أنا والشعر"[15]:

ودمع مرثيتي للأرسم الدرس/ ومقحمات بنا في غيل ذي لبد / وأستريح وأنا في حمى كنس أبكي بها الحاضر/المبكي ومرتجع عهدي من أزمان أندلس/.

يجسد الشاعر من خلال نسق "الطلل" وقفة زمنية ترتحل به إلى أعماق المضمرات النفسية، مصورا لنا وبصورة معاصرة واقع أمته، وحالة المكان الذي له وقع في النفس وبالتالي تلك الوقفة إنما؛ هدفها محاولة إسقاط جميع المآسي والتغيرات السلبية، وتمضهرات الزمن الغادر الذي يعيشه المواطن الإفريقي. ويؤكد "الشاعر عبد الحق السنوسي"، وقفته في قصيدته المشهورة حول ديار أبشة يقول فيها:[16]

سائل ديار أبشى عن جيراني/ وأرو الحديث لهم عن الجدران/ وأطل وقوفك لي برمل" أم كامل" نقضي لبنات الفؤاد العاني/ وأعد لذيذ حديث سكان اللوى/ متسللا لأبي زناد جناني/ وأنشد هنالك عن فؤاد ذاب لي/ أسفا بمنزل زهرة النسوان/ مغنى فقدت به غصون من فرائد/ تهتز في ورق الحرير الفاني/ وأمرر على السوق القديم وقف بنا/ نبكي ليالي يوسف السلطان/.

فالفراق والغربة لا يتحددان بالاغتراب عن المكان؛ بل بغربة نفسية الإنسان وقلقه الوجودي، بعد المرحلة الانتقالية التي يتحسسها بعد أن كانت حياته على وتيرة خط ثابت من القيم، أصبح يعيش في فوضى داخل دوامة لا يستطيع الإمساك بأي خيط يعيده إلى الحياة السابقة.

وتتواصل قضية نسق "الطلل" عند الشاعر محمود شريف في أشعاره التي هي بعنوان "انعكاسات على مرآة الماضي" يقول فيها:[17]

أمر بالدار والآثار معجمه/ أما عهدتك يوما ذات إفصاح/ أضحت في التيه نيراني وهن هدى/ وظل في سبيل الإظلام مصباحي/ ويلفظ الباب مفتاحي ويبعده/ من بعد

ما ألفت أجراس مفتاحي/ حتام يحملني لتطواف منذ زمن/على ركاب التمني غير مرتاح/.

من خلال هذه الأبيات يتبين لنا نسق "الطلل" أنه جاء حاملا العديد من معاني الحنين إلى الوطن، كون الشاعر إنسان مغترب في وطنه نتيجة لمفاهيم دخيلة عملت على وجود حواجز لتجسيد فكرة التوحد والتلازم مع رقعته الجغرافية كما حمل أيضا دلالات الحسرة والبكاء الداخلي على الحالة التي آل إليها المكان الذي يرسم معالم هوية وثقافة وانتماء الإنسان الإفريقي، ويقول الشاعر "عباس عبد الواحد" في قصيدته "وقفة في وارا":[18]

"وارا" وقفتُ على ربوعك ساعةً/ فاكتظَّ قلبي هيبةً وجلالا/ لاحت معالمها لديَّ بعيدةً/ فقطعت قبل وصولها أميالاً/ فإذا بقلعتها بدت وكأنها/ أهرام مصرٍ رونقًا وجمالا/ تحوي من الفن الجميل روائعًا/ فدهشت من تلك الروائع بالا/ واليوم لم تر حولها شخصًا ولم/ تر دونها نصبًا ولا تمثالا/ فخلت مرابعها الجميلة والتي/ ظل البهاء إزاءها يتلالا/ وترى الوحوش تجوب في عرصاتها/ وترى حيال بنائها أطلالا/.

يتبين لنا أيضا، من خلال هذه الأبيات أن نسق "الطلل" حمل دلالات الرحلة الاغترابية النفسية الداخلية التي يعيشها الشاعر، نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية الغير متوازنة، التي فرضت التخلي والترك للديار، والتفريط في الاعتناء وإعادة ترميم الأماكن التي تعد تاريخا حضاريا، ومعلما تراثيا في دولة تشاد العريقة.

ويقول الشاعر حسب الله مهدي فضلة في قصيدته "وقفة على آثار وارا":[19]

غُضُّوا العيونَ فهذا موطنُ الأدب/هذا الجلالُ الذي لم يُطُوَ بالحُقُب/هذا الشموخُ الذي لمْ يحن هامتَه/عصْفُ الأعاصير في خصْبٍ وفي جَدَب/

نلمح في هذه الأبيات مجموع المفارقات بين نسق "الطلل في العصر الجاهلي"، ونسق الطلل في صورته المعاصرة لدى شعراء تشاد؛ أن الرحلة قديما

كانت اعتبارية واختيارية، وبحثا عن الملاذ الآمن، حيث الاستكانة ووجود متطلبات العيش الماء والخضرة، والموقع الاستراتيجي للتجارة، وبالتالي كان التفريط في الديار من أجل غاية الصراع حول البقاء، أما نسق "الطلل" في رحلته المعاصرة وصورته الجديدة إنما؛ هو سبب الأزمات السياسية والشحنات والتناحر القبلي والظروف الاجتماعية والاقتصادية المزرية، وكلها عوامل مكنت إحساس الغربة في نفس الشاعر، فما تشير إليه هذه الأبيات أن الوقفة كانت زمنية، أراد الشاعر أن يحيي في نفس القارئ المكانة التراثية العريقة لمنطقة وارا في خدمة الدين الإسلامي، وكذلك التذكير بزعمائها وأمجادها في تحقيق معنى الحياة الإيجابية للفرد التشادي الإفريقي.

إن مساءلة المكان من قبل الشاعر أشبه بمناظرة فكرية، يتناقش فيها الشاعر مع القارئ لوضعية الحالة الإنسانية عامة. لذلك نلمح البكاء على أبواب وارا من قبل الشاعر "عباس عبد الواحد والشاعر" والشاعر"حسب الله مهدي فضلة"على أنه ليس بالمكان المهجور وإنما؛ محاولة الإفصاح عن صورته الآنية المتمثلة في الافتقاد لقواعد الحياة التي كان يألفها فيه الشاعر، فبكاء الطلل هو بكاء الحالة، هو التأسف على وضعية المدن الإستراتيجية، التي فقدت العديد من الامتيازات في تلك المنطقة، والتي كانت حلقة وصل رابطة للكيان الإسلامي وسلبت مميزاتها التاريخية والحضارية العريقة، حيث أصبحت خاوية تفتقد روح الحياة تستغيث لمن له القوة في استعادة مكانتها الحضارية، وكنزها الحياتي المفقود.

كما يحيل المضمر الممرر عبر نسق "الطلل" إلى إبراز حالة ووضعية إنسانية شبه منفصلة عن واقعها من حيث التلازم والمواءمة، التي تعلن عن حالات التوجس، الخوف، الحيرة وعدم الاستقرار النفسي، والعجز أحيانا من مواجهة الزمن، كتحدٍّ شبه مستحيل وسط كومة المتناقضات العصرية.

علاوة على ذلك نقول إن: الرسم المبكى عليه من خلال نسق "الطلل" يتمثل في مجموع المحمولات الثقافية الإسلامية، بمجموع القيم، العادات، والتواصل الأخلاقي الإسلامي الذي تضمه اللغة بين ثناياها. وما تلك الأمكنة إلا هي معلما لهذا التواصل، فرض عليها عامل الزمن قانون التهميش، فتجردت روح الإنسان الإفريقي المسلم من التواصل الإسلامي، فصار منهك القوى يتسابق وراء وهم مضلل، واسع المدى أشبه بسراب الصحراء.

فنسق "الطلل" في الشعر التشادي هو عبارة عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر المنصبة في قوالب الأمكنة الفاقدة لامتيازاتها التي عهدتها في الأيام الخوالي، وتحيل هذه الحالة النفسية المتوترة إلى عدم الاستقرار، والحنين إلى الماضي، وعدم الرضا بالحياة الممزقة التي تعانيها دياره، بيئته وموطنه، فنسق الطلل في رحلته الوجدانية الشعورية إنما؛ يبكي من خلاله الشاعر مأساوية الحالة المعيشة، ويعلن عن تخوفه من الحياة المستقبلية.

ما نخلص إليه حول نسق "الطلل" أنه جاء لتقديم ثابت حضاري- مجموع أمكنة، قيم مبادئ تاريخية تراثية، وتواصل أخلاقي ديني عريق- في صورته المعاصرة وما أحدث فيه الراهن المعاصر من تحولات وتناقضات تشكل مأساة في نظر الشاعر الذي يرغب أن يشارك بكائيتها مع القارئ، لأنه ولابد" في ضوء هذا أن يشعر القارئ بالخيبة ويتعاطف مع الشاعر، مما يفتح الباب واسعا لقصيدة الخطاب المنطوي تحت سياق ثقافي قار، يعمل على منح النص فاعلية"[20] تجعل القارئ يعيش على مفصلين؛ صورة الثبات لنسق الطلل وهو الماضي المفعم بترانيم النجاحات، والمصطبغ بالقيم الفاضلة، ونسق الطلل الزئبقي ذو الصورة المتموجة التي لا يستطيع الإنسان أن يركن عند واجهة من واجهاتها، كون أنها اصطبغت بالمتغيرات والسلبيات العصرية.

### 2.3 نسق الهوية وجدل الوحدة الإفريقية:

يندرج مفهوم الهوية في إطاره العام والشامل، ضمن التراث والأصالة والذات، فالذات لا تتحقق كينونتها إلا ضمن هوية تثبت من خلالها وجودها الفكري الإنساني، وهذا الإثبات لا يتكون إلا ضمن إطاره المعرفي المتعارف عليه، والمتمثل في محور التأصيل الذي هو بمثابة المرجع التاريخي، لأصل الشعوب في كل بقعة من بقاع العالم، فالهوية إذن" خاصة بالإنسان والمجتمع، الفرد والجماعة، وهي موضوع إنساني خالص، فالإنسان هو الذي ينقسم على نفسه، وهو الذي يشعر بالمفارقة أو التعالي أو القسمة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، بين الواقع والمثال، بين الحاضر والماضي، بين الحاضر والمستقبل... فالهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد، إن وجدت فالوجود وإن غابت فالاغتراب"[21] الذي يتحسسه الكيان الداخلي للفرد، فيعلن رفضه للواقع المعاش فيغدو إنسانا محاربا لنفسية الانهزام تارة، ومتوازيا في خطها تارة أخرى، باتخاذه موقف الرغبة في الانتحار والخلاص من الواقع المرير، الذي عتم له الطريق من رؤية واضحة لهويته الممتدة عبر التاريخ، والتي لابد لها أن تكمل مسارها بفرض وجودها في واجهة الحاضر، لتضمن بقاءها الوجودي تطلعا للمستقبل. فتغدو الشخصية الشاعرة شخصية متشظية، متوجسة، يبعثر الخوف كيانها، ويشتت عامل رؤيتها لنفسها وتقييمها لحالتها وسط هذا الوجود.

وفي هذا الصدد يقول الشاعر "محمود شريف" في قصيدته " الجو حرب":[22]

والموت أبلغ قولا لمعنى الخلود/كم اثنين أغرقت في واحد/ كم يد سلمت روحها للفراغ العميق/ ويا ليتني قشة تتحداك يا بحر/ يا ملهم الحرب/.

فالإشارة من قبل الشاعر لمصطلح البحر؛ أن المآسي بحجمها الهائل لا تدرك، وأن هذه الأزمات التي يعانيها الفرد التشادي إنما؛ جعلت منه إنسانا تأزميا يريد الخلاص من نفسه لأنه لا يتمتع بالحرية التي تجعل منه فردا ممارسا لهويته

ومنتميا إلى الهوية المشتركة مع بني جلدته، فهذه الحرب النفسية المعلنة، تنتهي عند الشاعر بتطبيق قانون الخلاص والابتعاد المتمثل في الانتحار ظنا منه أن قتله لنفسه هو الأمل في إسكات ضجة الحرب التي جعلته إنسانا مجهولا خاوٍ من مكونات إنسانيته، التي بإمكانها منحه الهوية الإنسانية المتمتع بها في السابق حيث يقول الشاعر:[23]

سأقتل نفسي لأقتلها/ ويعيش السلام ولو جائعا/ هل سيأتي الصباح كعادته/ أم سيحمل جثته ويغني لدور الضحية/ ينفلق الليل أجنحة/ سطح منزلنا ضيق يا طيور/.

فمجموع التساؤلات النفسية التي يشارك الشاعر القارئ فيها إنما؛ توحي إلى أن الهوية لا تؤكد فعاليتها إلا في إشراق الصباح الواضح الذي ينجلي ضوءه ويصبح هو الآخر جثة هامدة يبكيها الزمن، ولفظ الصباح يعني به الشاعر الحرية التامة والكاملة التي تمنح الهوية إمكانية التعايش في كيانات البشر، إذ أن الهوية "إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية، فالهوية قائمة على الحرية لأنها إحساس بالذات، والحرية قائمة على الهوية لأنها تعبير عنها"[24] فعنصر الحرية الفردية والشخصية، وحتى الجماعية هو من الموضوعات التي يتخللها اللبس في الواقع الإفريقي، بسبب مخلفات الاستعمار، الذي حاول بتمزيقه للهوية الإسلامية العربية داخل الفرد الإفريقي أن يجعل منه فردا منفصلا عن ذاته متأخرا على الركب، وفاقدا لوسيلة مواجهة الحياة.

وتُعَدُّ الهوية وجدل الوحدة الإفريقية قضية يندد بها في مجموع القصائد التشادية، وتظهر ملامحها في قصيدة "على آثار وارا" للشاعر "حسب الله مهدي فضلة"، حيث يقول فيها:[25]

مَن قام في همَّةٍ عزَّتْ مثيلتُها/ يدعو إلى الله في إقدام مُحتسب/قالوا( :أنبْنا إلى الإسلام فانحُ بنا/نهجَ الهداية والتعليم بالكُتُب/بني تشادَ، خفضتُمْ قدْرَ مَن صنعوا/تاريخَكُمْ فغَدا في أرفع الرُّتَب/.

ويقول الشاعر "عباس عبد الواحد" في قصيدته "رابطة الدين":[26]

أواصر الدين والتاريخ قد جمعا/ في ركن حصن منيع غير مضطرب/ والدين جسر وداد الناس قاطبة/ يضم مختلف الأجناس والنسب/

فالمضمر النصي المتجلي داخل نسق "الهوية" يطرح قضية الانتماء والوحدة كجانب إيجابي في توحيد الرقعة الإفريقية، وتحديد وحدتها التي تتمثل في أنها أمة عربية إسلامية ترفض أي دخيل لا يخدم ولا ينمي ثقافتها، كما أنها تؤكد على أن الإسلام يعد ميراثها الشرعي، الذي لها الأحقية أن تحمله نصب عينيها وتؤكد سريان مفعوله في الذوات الإنسانية الإفريقية، خاصة وأنه الخيط الرابط بينها وبين ماضيها الذي يمثل تراثها، ومع تحديد صورة هذا الأخير يتم إلغاء آليات الهيمنة الثقافية التي تشتت شمل الأمة الإفريقية "فالهوية تتضمن الانتماء والحاجة إلى الهوية لا تنفصل عن حاجة الإنسان إلى الانتماء، فالانتماء صفة أصلية للهوية، ومن خلاله تبرز الهوية الكامنة في نفس الفرد تجاه وطن أو قومية معينة"[27].

ويقول الشاعر "حسب الله مهدي فضلة" في قصيدته "العربية لغتنا":[28]

تشادُ بشراكِ !إنّ الشّمل ملتئمُ/ أبناؤك اجتمعوا والود ضمهمُ/صاحوا أجمعهم :لا للحروب ولا/للظلم إنا بحبل الله نعتصمُ/بلادنا أوهِنت بالحرب، إذ تُركت/تعيث فيها عقودا بالردى الوغمُ/دُكت معالِمُنا هُدت ثقافتُنا/صِرنا حديثا وقيلت حولنا التهمُ/ نريدها حرة عظمى دعائمها/ العدل الأمن والقانون والقلم/ سمحاء تزخر بالأخلاق فتيتها/ فإنما الأمم الأخلاق والقيم/أم اللغاتِ كتاب الله قد وسِعت/وفيه للمهتدي الأخبار والحِكمُ/ألم تكن لغة الأبحاثِ قاطبة/ بها يناجى السها أو ينطق الرجِم؟/.

فالانتماء كما يشير الشاعر، يتحدد عن طريق المرجع المتمثل في الأثر الحضاري التراثي الذي يعد ملكا ثمينا للأمة الإفريقية، وموحدا لشملها المتشتت وأيضا عن طريق أداته المتمثلة في اللغة العربية، إذ أن "تمسك العرب بهويتهم المشتركة، التي توحد وتشكل شخصية أمتهم المتميزة بالانتماء إلى اللغة العربية"[29] التي تمكن التواصل المعرفي الثقافي الإسلامي، وتُعَدُّ جسرا رابطا بين عقليات إنسانية، تحدد مبدأها الإنساني؛ من منطلق إيماني تمثله قوانين الشريعة الإسلامية، وترسم حدوده الهوية العربية المسلمة، التي توجب قانون التلاحم والتمسك والالتزام بفكرة العروبة والإسلام، وتفند قانون التصدع، والتشتت والتعصب للاتجاهات التي تحيل إلى التفرقة، والثغرات والنزاعات التي هي عامل قوي في إزاحة القوة المركزية من مركزها وتنهي بها إلى المهمش، وتعلن عن ثقافة المركز الدخيل، وبالتالي يفقد المهمش مجموع العلاقات بينه وبين الآخر من بني جلدته والتي تربطها– العلاقات – بحضارتها العربية الإسلامية ثقافيا ولغويا.

### 3.3. نسق الهامش:

يتحدد المضمر الممرر في نسق الهامش في مبدأ التحدي، الصمود وإرادة استرداد الحق المسلوب نتيجة الهيمنة الاستعمارية الثقافية، كون أن اللغة عامل التاريخ والحضارة وهي أداة تصلح لأن تكمل الحاضر، وتشرف على المستقبل برسم خطوط معالمه الإسلامية العربية ومواجهة الهيمنة الثقافية، التي بينت أن اختراق الإسلام ليس بأداة السلاح وقوته وإنما؛ بممارسة المكر والدهاء والوعود الكاذبة. يقول الشاعر "محمد عمر الفال عيسى" في قصيدته "الخطاب العليل ":[30]

جاء الخطاب عليلا مسه سقم وكل حرف عليه الحزن يقظان

حتى فضضت وريح اليأس تغمرني مضمخ الطيب يبدوا منه خذلان

أن العهود التي أعطيتها كذب وهذه حالنا مكر ونكران
نبدي البراءة والغزلان يصدقنا من كان يجهلنا والحسن فتان

فقضية الهامشي التي يطرحها الشاعر تتمثل في أن حياته اعتادت على الوعود الكاذبة، وأن الخطاب العليل مرده إلى العلة والمرض، الذي هو على مستوى النفس والمجتمع أيضا، ولعل السبب الذي أزاح الفرد الإفريقي من دائرة المركز إلى دائرة الهامش هو ثقافة الوهم وعدم الإخلاص للوعد، وسلب حرية الشخص في تقرير مصيره، وتحديد أهدافه، وبالتالي باتت الحياة عليلة لأن خطاها ليست واضحة المبنى والمعالم.

وتظهر هامشية الفرد الإفريقي في الآلية المطبقة من قبل القوى الاستعمارية المركزية التي طبقت عملية استفراغه من ماضيه وهويته الانتمائية وقصيدة "العربية لغتنا" للشاعر حسب الله مهدي فضلة؛ تظهر ملامح التحدي والتصدي لمثل هكذا مبدأ أن ينغرس في كنه الإنسان الإفريقي بصفة عامة ويتطلب الخروج من دائرة الهامش حسب الشاعر بالعودة مباشرة إلى المركز عن طريق آلية اللغة، والعامل الأخلاقي الذي يعد مركزا في معالم الثقافة الإسلامية العربية، إذ أن"إنماء اللغة العربية، هو إنماء لغة القرآن وتعزيزها، وبالتالي تعزيز الإسلام وتقويته".[31] تأهبا ضد أي طارئ دخيل يخل بمكانتها، وينزل بها إلى الهوان والذل والتبعية .

في هذا الصدد يقول الشاعر:[32]

دكت معالمنا هدت ثقافتنا/صرنا حديثا وقيلت حولنا التهم/واليوم عادت لنا الألباب واتضحت/لنا الطريق وزال العي والصمم/فلنستعد همة نبني البلاد بها/بالعلم والعزم يبني الشامخ العلم/هُمْ على لغة القرآن قد جُبِلوا وإن عراها اعتجام سوف ينحسم/

فالمضمر الممرر عبر نسق الهامش، يتمثل في أن ضمان بقاء الهوية الإنسانية لأي شعب من الشعوب يكون بانطلاقها من الثابت الذي يمثل ماضيها

وتراثها مرورا بالمستقبل، مع اقتباس وتقمص أشياء من ثقافة الآخر في نظام تثاقفي يحيل إلى الإبداع والتطوير، ويكون قادرا على مواجهة ثقافة الأنا الاستعمارية، والابتعاد عن القيمة المهمشة، ولعل من أبرز الأدوات المعبرة عن الواقع باحترافية هي القصيدة الشعرية التي ندد بها الشعراء التشاديون، حيث اتخذوا منها منبرا يجسدون من خلاله حالة الأمة العربية الإفريقية.

**4.خاتمة:**

تجلت الأنساق الثقافية من خلال النماذج المختارة من الشعر التشادي في هذه الدراسة فيما يلي:

– نسق الطلل، وتمثل في تلك المكانية التي عهدها الشاعر كأرضية حضارية وإرث حضاري أصيل ينمي في روح الفرد التشادي وازع الفخر والانتماء الإسلامي العربي، وقد حظي هذا الإرث التهميش والترك، والجعل منه أرضا خرابا تتحدى معاناة الزمن، كما تمثل داخل قالب الطلل العديد من القضايا المتمثلة في الغربة النفسية التي يعانيها الشاعر، والاغتراب وسط المجتمع كون أن مجتمعه يفتقر للأساسيات التي كانت في السابق، والتي تجعل منه مجتمعا تواصليا وعلى جميع الأصعدة ضمن المعالم الإنسانية الراقية.

– تمكن نسق الهوية من إبرازه لمجموع القضايا الإفريقية سواء على المستوى الوطني– دولة تشاد– أو على المستوى الإفريقي، ومن أهم هذه القضايا الوحدة الإفريقية، ومحاولة التنديد بقلب النزاع إلى جو تواصلي مبني على الرقي والنهوض بالأمكنة التي يصبغها الركام، والنفس التي يصبغها التجهم والتوجس، والقضاء على حالة التيه والفراغ الذي تعانيه بسبب الخلل الذي اعترى هويتها، بعدما أن كانت تتمتع بهوية أصيلة يحكمها الوازع الإسلامي الديني، وتؤطرها اللغة العربية التي ترسم حدود انتمائها، وتحدد إطار تعايشها الإنساني.

– أما عن نسق الهامش فقد صور لنا قضية الهيمنة التي خلفها الاستعمار على جميع الأصعدة، والتي أنتجت حالة اجتماعية مزرية، وحالة ثقافية متدنية، فنسق الهامش كان عبارة عن منبر ندد عبره الشاعر على تأكيد استرجاع المركز داخل الأمكنة المعاشة، وتحديد معالم الهوية العربية المسلمة عن طريق إعادة تثبيتها في كيان الفرد التشادي خاصة والإفريقي عامة.

**5.المراجع:**

[1]: عبد الفتاح العقيلي، النقد الثقافي قضايا وقراءات،(د،ط)، مصر، مكتبة الزهراء،2009م ص9.

[2]: محمد عبيد الله، النقد الثقافي والدراسات الثقافية، مجلة أفكار، العدد207،2010م.

[3]: عبد الله محمد الغدامي، من نقد النصوص إلى نقد الأنساق، ورقة بحثية مقدمة لندوة مهرجان القرين حول مقولات النقد الثقافي.

[4]: المرجع نفسه.

[5]: محمد عبيد الله، النقد الثقافي والدراسات الثقافية، مجلة أفكار، العدد207، 2010م.

[6]: صلاح قنصوه، تمارين في النقد الأدبي،(د،ط)، القاهرة، مكتبة الأسرة،2007م، ص11.

[7]: عبد الله محمد الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، بيروت– لبنان، المركز الثقافي العربي،2005م، ص 58.

[8]: محمد عبيد الله، النقد الثقافي والدراسات الثقافية، مجلة أفكار– العدد207، 2010م.

[9]: ينظر عبد الله محمد الغدامي، النقد الثقافي، ص60.

[10]: المرجع نفسه، ص70.

[11]: المرجع نفسه ص79.

[12]: المرجع نفسه ص77.

[13]: سعد حسن كموني، الطلل في النص العربي، دراسة في الظاهرة الطللية مظهرا للرؤية العربية، ط1 بيروت– لبنان، دار المنتخب العربي، 1999م. ص 13.

[14]: المرجع نفسه، ص22.

[15]: محمد المحسن، تجليات الشعر العربي، في جمهورية التشاد، الشاعر التشادي المتميز محمود شريف.. قصيدة، أنا والشعر تصفح: 2021/12/17م، سا16:25 http://wwwfethiouou.com

[16]: عبد الله حمدنا عبد الله، عميد كلية الآداب جامعة إفريقيا العالمية، "شيخ شعراء تشاد عبد الحق السنوسي" تصفح: 2021/12/18م. http//wwwprofg.com، سا:02:09.

[17]: محمود شريف، قصيدة، انعكاسات على مرآة الماضي، تصفح:2021/12/17م، سا:http//www adabislami.org14:12

[18]: عباس عبد الواحد، قصيدة وقفة في وارا، مؤسسة جائزة عبد العزيز مسعود للبابطيين للإبداع الشعري 2001م/1422هـ تصفح2021/12/18م. سا00:34، http//wwwAlmoagam.org

[19]: حسب الله مهدي فضلة، قصيدة وقفة على آثار وارا، 1992/02/23م.

[20]: جاسم محمد عباس، الأنساق الثقافية في شعر موسى حوامدة، مجلة الجامعة العراقية جامعة الأنبار– كلية الآداب قسم اللغة العربية – العدد 49،ج 2 ص227.

[21]: حسن حنفي حسنين، الهوية، ط1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2012م، ص11.

[22]: محمود شريف، قصيدة: الجو حرب، حاصلة على المركز الأول بقصور الثقافة. تصفح: 2021/12/28م سا:http//www adabislami.or12:45 .

[23]: المرجع نفسه.

[24]: حسن حنفي حسنين، الهوية، ص 23.

[25]: حسب الله مهدي فضلة، قصيدة وقفة على آثار وارا.

[26]: عباس عبد الواحد قصيدة، رابطة الدين، تصفح: 2021/12/18م، سا00:34 http//wwwAlmoagam.org

[27]: منى الدسوقي، اللغة والهوية، تحديات الهوية بين تغريب اللغة وتعريبها، مجلة الحداثة– عدد192/191 – ربيع 2018، ص389.

[28]: حسب الله مهدي فضلة، قصيدة العربية لغتنا، كتبت عام 1992.

[29]: منى الدسوقي، اللغة والهوية، مجلة الحداثة، ص389.

[30]: محمد عمر الفال عيسى الخطاب العليلhttp//wwwAntealgy.com، تحديث:08/ يونيو/2018م

تصفح:2021/12/13م، سا:20:20.

[31]: منى الدسوقي، اللغة والهوية، مجلة الحداثة، ص389.

[32]: حسب الله مهدي فضلة، قصيدة العربية لغتنا.